

## تعممة الوفد

### ديمقراطية "مصرية" معكّلة: الإعادة بين أربعة !!

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD170612.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/06/17  
السنة الخامسة - العدد: 1752



كتبت كثيرا عن الفرق بين "الرأى العام" و"الوعى العام"، وحاولت أن أنبه أن ديمقراطية الصناديق تقيس الرأى الظاهر لصاحبه (على أحسن الفروض) ولكنها لا تسبر غور الوعى البشرى الأهم فى حفظ النوع واستمرار الحياة، فسألنى كثير من الأصدقاء عن معنى الوعى الذى أقصده، وما هو الفرق بينه وبين "الرأى" و"الفكر" و"العقل"، ولم أنجح فى الإجابة، لكننى ظلت محتفظا بالأمل أن أنجح يوما ما.

منذ عام تقريبا كتبت هنا بتاريخ 1-6-2011 تعتمة بعنوان: "أنواع العقول والديمقراطية المضروبة!"، قلت فيه: والآن: هل يعرف هذا السر - أن للبشر مستويات وعى كثيرة - أولئك الذين يملكون أدوات اللعب بعقولنا كلها؟ وهل هم يرسمون سياساتهم نحونا من خلال ذلك؟ وهل كل هذا له علاقة بالحوار الوطنى الجارى، وبالانتخابات، وبمآل ما يجرى حاليا: إما إلى ثورة وطنية، قومية علينا أن نتحمل مسئوليتها لتكون ثورة بالإبداع والبناء كما وعدت بدايتها، وإما إلى فوضى وخراب يضطرنا إلى تبعية مُذَلَّة ممتدة أو جديدة؟" وخلصتُ فى نهاية المقال إلى قولى:

اننا إذْ نضطر إلى تعاطى جرعة ضرورية من هذه الديمقراطية المعروضة، فذلك لا ينبغى أن يكون الفصل الختامى فى مسئوليتنا عن حمل أمانة الوعى والحرية، وعلينا أن نتجرع مرارتها وأن نتحمل مضاعفات غشها وتلوثها بوعى كافٍ لعل ذلك يحفزنا إلى البحث طول الوقت، مع الشرفاء عبر العالم، عن ما يحقق تكريم الإنسان... "المشكلة ليست فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط بالتصدق ببضعة عشرات من المليارات لنشتري بها "سندوتشات" ديمقراطية، وإنما هى فى البحث عن إبداع جديد ينقذ البشر عبر العالم من غباء هذه الطغمة الباغية المهتدة لوجودنا معا"

ثم استمرت المسيرة يوما بعد يوم، وأسبوعا بعد أسبوع، ونحن نذكر بأمانة أن كل ما نحن فيه قد بدأ بفضل الشباب، الذى أدى إلى تغيير الأحوال، ومشروع لثورة، وأمل فى تشكيل دولة حديثة، وحلم بالإسهام فى ولادة حضارة لا نفة بإنجازات البشر المعاصرة، المصريين وغير المصريين، وحملنا الجميع دون استثناء، مسئولية، كل ما ظهر من مضاعفات وتشويه وانتهازية وعبثية وتخريب، نعم الجميع: بطول المحروسة وعرضها، بطول الدنيا وعرضها.

ثم إننى وجدت نفسى أعيش تجربة لم تكن لتخطر على بالى أصلا أننى سوف أخوضها يوما، نعم مارستُ الديمقراطية شخصيا منذ حوالى ستة أشهر على الوجه التالى:

بدأتُ الممارسة، مثل كثيرين أعرفهم، وأنا أريد أن أصدق، وإذا بى أفرح بما لم أحسب أنه يفرحنى، نعم فرحت بحق، أهذه هى الديمقراطية؟ لا مانع، رحمك الله يا شيخنا محفوظ، يبدو أنها - كما قلت - أحسن الأسوأ فعلا، فرحتُ كما لم أفرح بها فى حياتى حتى أيام الوفد القديم، ثم .. ولكن دعونا نبدأ من البداية:

**نبدأ بطابور الاستفتاء:** ذهبت ووقفت فى الطابور ولم أكن أعلم أنهم يكرمون كبار السن أمثالى، حتى نادانى رجل الشرطة الفاضل وهدانى إلى حقى فى الاستفتاء فشكرته ركبناى قبلى، واستنقتتُ، ولم أرض بنتيجة الاستفتاء، لكننى لم أترجع عن فرحتى بالديمقراطية، لتأكدى أنها عبرت عن ناسى بدءا بالذين كانوا وقوفا حوالى فى الطابور، وقيل ما قيل فى سوء استعمال الدين والتركيز على بنود لم يتطرق إليها الاستفتاء، لتمرير بنود لم يعرف عنها الناخبون شيئا أصلا، ولم يهمنى أى من ذلك، وقلت: هذه هى "واللى عايز الجميلة يدفع مهرها" وبدأتُ الأمثلة العامية تلوح لى من بعيد تذكرنى أنها التعبير الأقوى للوعى المصرى لو أحسنا

ثم جاءت انتخابات مجلس الشعب، وفرحت أكثر، فلا توجد بنود مختبئة وراء بنود، ولا توجد شبهات تزوير إلا أقل القليل، الأسماء واضحة، والمعالم محددة، والمخالفات مقدور عليها ولا تغيّر النتيجة، وفرحتُ برقى القومى مرة أخرى، ورحت أتغزل فيه شاكرًا فخورًا، وظهرت النتيجة تعبر عن حقيقة رأى الناس، بغض النظر إن كانوا قد خدعوا فى الشعارات أم قبلوا الرشاوى العينية أو المعنوية، فهؤلاء هم ناسنا الذين انتخبوا فعلا، وهم الذين سوف يتحملون مسئولية ما فعلوا فعلا وواقعا: إن انتبهوا من واقع النتائج فالأداء، فليعيدوا النظر، وإن رضوا فليدفعوا الثمن، وهتفت صامتا وأنا أكتشف كل يوم ميزة جديدة فى هذا الصنم الذى كنت على وشك تحطيمه - الديمقراطية، وحاولت أن أستبعد ولو مرحليا ما أعرفه عن غول الديمقراطية المسيرة بالمال والإعلام والمؤامرات عبر العالم، وقلت ليكن، وحضرنى مثل آخر طالما رددته وهو الذى يقول "تجمز بالجميز حتى يأتيك التين"، وهو ما سبق أن نسجت على منواله مثلا يقول: "دمقرط بالديمقراطية حتى تأتاك الحرية".

ثم جاءت الانتخابات الرئاسية، ولم أتردد فى الذهاب، وكان الاختيار أصعب، فمن ناحية أنا لا أريد أن اضيع صوتى باختيار من أعرف أنه ليست له فرصة حقيقية حتى لو كان صوتى بألف صوت، ومن ناحية أخرى كان أسهل علىّ أن أقرر من ذا الذى يستحق أن أحجب عنه صوتى بغض النظر عن من سأعطيه هذا الصوت - وكأنه هو الذى سيرجح الكفة، وفرحت بحيرتى لأننى ترجمتها إلى أننى عندى أمل فى كل الباقيين بشكل أو بآخر، وإن كان بدرجات مختلفة، وظهرت النتائج كما نعلم، وكانت مفاجأة على كل المستويات كما قرأها كل المعلقين، بل وكل الناس، من أول انحسار الأصوات خلال أسابيع عن تيار الإسلام السياسى التقليدى، إلى تقارب عدد أصوات الفائزين الأربعة الأوائل، برغم أن الإعادة هى بين اثنين فقط، مرورا بظهور زعيم بسيط جديد هو حمدين صباحى، لم أر فيه إلا أنه: هو هو حميدو ومحمدين، وأيضا هو حمادة وهو أبو حميد وهو حمودة، ثم حمدين كما قدم نفسه "واحد منا". وقلت خيرا، لقد أفرزت الديمقراطية وعيا جماعيا جديدا التف حول زعيم لم يسع للزعامة كهدف أول: خير وبركة. ولكن يا خير!! ماذا فعلت بنفسك وبنا بعد ذلك يا رجل، وأنت تشجب حكم محكمة محترمة، فتشرخ القضاء، وتؤازر الفوضى، وكأنك يا ديمقراطية تستعملين بشروط مسبقة، ماذا وإلا...، هذا!!!

ثم زادت حيرتى ونحن نقتررب من إعادة انتخابات الرئاسة حين وجدت أن علىّ أن أختار بين خيارين أحلاهما مر، وهو ما وصلنى من كل من حولى وهم يستشعرون أنهم فعلا بين نارين، فحلّ بى وعى ناسى الناقد المتحفر متجليا فى أمثال عامية وبعض الشعر العربى يبلغنى أن المأزق قديم عريق، فرحت أحسن الإنصات، فاستهل الحضور "شعر الأعشى فى السموأل يقول:

".....فاختر، وما فيهما حظ لمُختار"

ثم بيت شعر شائع لا أعرف قائله جاء يقرص أذنى وهو يردد:

"المستجير بعمره حين كُرِبَتْه كالمستجير من الرمضاء بالنار"

(طبعا ليس عمرو موسى أكثر الله خيره!!)

وحين حل بى ما حضرنى من أمثالنا العامية المصرية انتفضت دهشا وهى تلاحقنى الواحد تلو الآخر، تحاول أن تخفف عنى أكثر مما تسهم فى توجيه اختياري، وهى تغمز أنه: "إلى جولة تالية"، على شرط ألا تمتنع هذه الجولة عن التصويت وإلا فأنت لا تستحقها (الديمقراطية).

وفيما يلى ما تيسر مما كان، علما بأننى لن اشرح أيا من الأمثال التى حضرتنى مقتحمة، فهى تقول وحدها أحسن ألف مرة من وصايتى عليها، وكل واحد منها يحتاج شرحه إلى مقال بأكمله، شطارتك -عزيزى القارئ- أن تحسن نطقها بصوت مرتفع، علما بأننى لن احدد على من يمكن أن ينطبق هذا المثل أو ذاك، ولك الحق أن تقرأه كما نشاء، وأن تطبقه على من يستحقه، والعهدة على التاريخ ووعى ناسى الذى أفرزها، (وطبعا قمت بإبدال كلمة هنا، ووضع فصلة هناك):

المثل الأول: من طوبة لحدورة يا قلب ما تحزن

(الكلمة الثانية بعد "من" كانت فى ذاكرتى كلمة أخرى، أقبح، لكننى حمدت الله أن وجدت لها بديلا جاهزا)

المثل الثاني: ما العن من سيدى إلا ستى

المثل الثالث: خلتنا ورا "النؤاب" لحد باب "النار"

( واضح الإبدال لما بين التنصيص مما لا يحتاج إلى تحديد تنويه )

المثل الرابع: إيش رماك ع المر قال الأمر منه

المثل الخامس: "خدتك عواز خدتك لواز، خدتك أكيد العوازل كدت أنا روى!!"

(العواز من "العوزان" واللواذ : الملاذ غالبا"، ربما نحن نكيد أنفسنا لنحسن الاختيار مستقبلا)

المثل السادس: "جريت من الغز هاربة، قابلوها المغاربة"

(الغز- بضم الغين- هما عسكر الأتراك فى مصر فى العصر العثمانلى، والمغاربة: كانوا مرتزقه

مغاربة يسترزقون فى مصر لغاية عصر عزيز مصر محمد على الكبير).

**وبعد**

فجأة، حلّ بي أكثر فأكثر وعى ناسى التاريخى الناقد الساخر الجميل وقدم لى اقتراحا طلب منى أن أرفعه

للمجلس العسكرى، هذا نصّه:

"أن تتم إعادة بين الأربعة الأوائل بمرسوم عسكرى دستورى حسب القواعد الجديدة الصادرة من مجلس

أمناء وعى الناس".

وبهذا نبدأ طريق الإبداع بحثا عن ديمقراطية عالمية موضوعية جديدة

"وماحدث أحسن من حد"

\*\*\* \*\*

## وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقا من فكر يحيى الرخاوي"

نشرة الإنسان والتطور ( الإصدار الفطلي حسب المأور )

شباط 2012

## عندما يتحرك الإنسان

مع ملحق حدود بريد الجمعة

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf)

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe)

دروفيسور يحيى الرخاوي

[rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com)

\*\*\* \*\*

## ARABPSYNET PRIZE 2012

جائزة البروفيسور مالك بدرج لشبكة العلوم النفسية العربية 2012

[www.arabpsynet.com/Prize201/2APNprize201.2pdf](http://www.arabpsynet.com/Prize201/2APNprize201.2pdf)

\*\*\* \*\*